

## المسيحية

لقد كان من تأثير السلام والتقدم الذي أصابه العالم تحت ظلال الامبراطورية الرومانية قيام حاجات جديدة عند الناس . ولقد كان المثل الأعلى للانسان في الامبراطورية أن يكون جنديا أو مواطناً صالحا . ولكن لما أخذ الناس يهجرون القتال والحياة السياسية أعنى الحياة الخارجية، تحولوا نحو البحث عن متع الحياة الداخلية . ونشطوا في تقوية نقوسهم على الفضائل الاخلاقية بدلا من الفضائل الحربية والمدنية القديمة . كانت هذه الحركة بطيئة في أول أمرها تحت حكم الاباطرة الاول ولكنها أخذت تتسع تحت حكم أنطونيوس حتى كان حكامه مثالا لهذا التحول الاخلاقي كانت كل الاسئلة التي تمكن الانسان من وضعها عن مصيره وقيمه وواجبه . بعيدة عن أن تجيب عنها الديانة الرومانية . لأنها لم تكن تشتمل في الواقع تعليما أخلاقياً . فقد انتصرت على تقديم الضحية تأمينا ضد المصائب التي قد تحدث . كأن الله يبيع حمايته ولكنه لم يعط قواعد لكي يعيش الناس بمقتضاها عيشة طيبة . لقد أوجد احترام الملكية والعقود ولكنه لم يرشد الضائر . فلم يتعد اختصاصه المسائل العادية

اهتمت الفلسفة الاغريقية بالمسائل الاخلاقية فقد توصل بناجور وسقراط وافلاطون الى فكرة إله عظيم . وفكرة التمييز بين الخير والشر وإلى كثير من القوانين الاخلاقية . ولما افتتحت اليونان انتشرت في روما عادة دراسة الآداب الاغريقية . وأخذت عقول نخبة القوم تشغف بنظرياته النبيلة . فلم تعد هذه النظريات موضوعا للمناقشة بين المتعلمين بل أصبحت قواعد أخلاقية شعبية منذ اليوم الذي ترجمها فيه شيشرون الى اللاتينية . وبذلك أصبح علم الأخلاق في متناول كل من يعرف القراءة

أصبح في عهد الامبراطورية الاهتمام بقاعدة للحياة عاما . واصبح الشعور شديدا في أنه لا يكفي . لكي يكون الانسان شريفاً ، الخوف من القانون أو البوليس فأخذوا يبحثون عن المشورة عند الفلاسفة . وكان أشهرهم حينذاك سنيكا . كان يدعو الى احتقار التروات واحتمال الالم والاهتمام بالفضيلة الانسانية وكانت هذه تعاليم الفلاسفة الرواقيين الشديدة . لقد سببت الزهو والانانية ولكنها أوجدت واجبات الضمير وقالت بأن كل انسان مقدس . ولذلك منعوا العبودية وقتال المبارزين

إن التعاليم التي بشر بها سنيكا طبقتها ابكتيت تطبيقا عمليا وقد كان عبدا معتقا لنيرون . عاش عيشة الفقر والتقاسة محققا الثروة محاولا الوصول إلى السكال الأخلاقي

إن نفس شعور الواجب هذا ، وجد عند الامبراطور مارك أوريليوس من بعد ولم يقتصر على القيام بواجباته نحو نفسه ، بل اهتم أيضا بواجباته نحو الآخرين ، ولكن رغم انتشار نظرية الرواقين فانها ظلت مقصورة على نخبة من المفكرين بدون تأثير على الجمهور . لأنها كانت تخطب العقل لا القلب . ولأنها تتطلب من الانسان جهدا للارادة المنسكرة بدلا من وثبة الضمير والحب كان الناس في ذلك الوقت يأتون من جودا بمجدون للتواضعين مسرات الفضيلة قائلين انها ليست نتيجة العقل الذي لا يشعر بشيء ولكنها تدفق القلب الذي يدفع الضرر إلى حب الله والناس والخير وجد الجمهور الذي تحرك قلبه في هذه الكلمات عذوبة عظيمه وتمزية لمصائبه . وكانت هذه الروح الجديدة التي أخذت تدخل العالم القديم وتحوله حتى غيرته هي المسيحية

أخذ الدين الروماني الوثني يسير نحو الضعف وغصت الامبراطورية بالفلاسفة واخذ اشرف الرومان يسخرون من أربابهم فلم يبق من الدين القديم إلا مراسيمه وظواهره ، ولما كثرت المهاجرات تداخلت الأديان فصارت العقائد الخاصة باحداها تدخل في الآخر وكثرت المظالم وأصبح الفقر نصيب تسعة أعشار سكان الامبراطورية الرومانية . ولكن نشأت بجوار ذلك عدة محاولات شديدة للمزج بين الفلسفة والمبادئ الشرقية الدينية القديمة لتكوين فلسفة دينية جديدة منها يمكنها أن توصل الانسان إلى الايمان والاطمئنان وبالتالي إلى السعادة الانسانية المنشودة

ولأجل أن يصير هذا المزج ممكناً ومقبولاً قد تحتم إذ ذاك وجود قاعدة أساسية توصل إلى ذلك . وقد كانت هذه القاعدة سهلة الوضع بالفعل ، فقد صورها الفلاسفة حينئذ في أن مصدر الفلسفة الاغريقية وينبوعها الأول هو عين مصدر المعتقدات الدينية الشرقية القديمة وينبوعها الأول أيضا وهو الوحي السماوي وقالوا : كما أن الحقائق قد هبطت على العقل الانساني من السماء كذلك الاراء والمذاهب الفلسفية الاغريقية الحرة قد فاضت على التفكير البشري من عالم المعنى رادت القرابة بين الأديان والنظر الفلسفي وارتفع التنافر والتضاد بينهما وأثبتت الفلسفة أن القوة الالهية مبدأ الوجود العام وفوق كل المدركات

بهذا الفكر وما يتبعه من تهذيب العقيدة وتأويل الوحي وتحويل الاراء الفلسفية مهد الطريق لظهور المسيح وانتشار المسيحية التي التقى فيها الفكر الفلسفي مع الدين متحابين انتشرت المسيحية بين أكثر الناس لأنها ديانة البر والتسامح والغفران ولم يكن من السهل أن يؤمن الناس باليهودية لأنها كانت تقصر الدين اوسوى على اليهود كأنهم شعب الله المختار ، بينما كانت المسيحية تقبل جميع الناس

كانت المسيحية في أول أمرها مستمدة من اليهودية وحده الله وقدرته وخلود الروح وعقاب

وثواب العالم الآخر ، وأهم ما جاءت به التعاليم الأخلاقية للمسيحية حب الله ، فمن الواجب ألا نخشى إلا الله فقط كما يفعل الوثنيون وقدماء اليهود بل يجب أن نحبه بكل عواطفنا كما يحب الابن أباه ونعمل كل ما نستطيع في سبيل هذا الحب وكل الناس اخوة يجب أن يتحابوا . حب جارك كما تحب نفسك . حب من لا يحبك . حب أعدائك . لا تتعلق بمتاع هذا العالم . لا تطمع ولا تتكبر لأن الله يحب المتواضعين والمتألمين والتعساء

لننظر الان كيف انتشرت المسيحية ونظرا لتعدد البيئات التي اعتنقتها سنقتصر على سرد كيفية انتشارها في مصر :

أخذت المسيحية في الانتشار فدخلها كثير من العقائد الفاشية في ذلك الحين ، ويسر هذا التداخل على الناس الايمان بالدين الجديد ، فاعتنق كثير من الناس المسيحية لقلّة الفروق بينها وبين العقائد الفاشية . حلت العذراء محل ايزيس وكانوا قبل يصورونها كالنجم سيروس طالعا على الشمس فصاروا يصورون العذراء فوق هلال صاعدة للسماء وحل الثالوث المقدس « الأب والابن والروح القدس » محل الثالوث المعروف في الاسكندرية باسم « سيرايبس وايزيس وهاربو كريتمس » وعند باقي المصريين باسم « أوزوريس وايزيس وهورس » وظل المسيحيون يطلقون لفظة الله والتي ترجمتها بالهيروغليفية نيتز على اله عيسى . وظلوا يقدسون بعض الأشجار فقالوا بان اللبخ هي شجرة يسوع المقدسة . لأنها أظلمت وأبويه حينما أتوا مصر وسجدت له . وحل كهنة المسيحية محل كهنة ايزيس ، فظلوا يلبسون جبة الكتان البيضاء التي كان يلبسها كاهن ايزيس ، واستمروا يحجزون الشعر من وسط الرأس كما كان يفعل كهنة قدماء المصريين . وكان الكهنة في طيبة يسمون حجاب باب السماء فصاروا في عهد المسيحية يسمون حاملى مفاتيح السماء . وأختلط في ذهن القسيسين أنفسهم الصليب المسيحي بالعنخ المصري ، والعنخ هو رمز يرمز به الي الحياة ، كان المصريون يسمونه في قبر الميت ، وظل الصليب يذكر في الإنجيل بانه رمز الحياة ، كما كان يرمز الي العنخ نفسه عند المصريين ، وقد رسم العنخ في الكنائس القبطية كأنه هو والصليب شيء واحد ، ولم يجد المسيحيون تغييرا في صورتهم التي تصورها عن العالم الأخرى فان بوابة العالم السفلى المذكورة في الفصل الأخير من الإنجيل هي تلك البوابة النارية للعالم السفلى عند قدماء المصريين

ظل المسيحيون في مصر يحنطون موتاهم كما كانوا يفعلون قديما . وكانوا يشعلون الشموع بمعابدهم المظلمة فصاروا يشعلونها بجميع الكنائس مظلمة أو منيرة ، وكان لهم عيد الشموع ، فصار عيد الشعانين ، وكان لهم عيد آخر يأكلون فيه الحلوى ، فصاروا يحتفلون بنفس هذا العيد في السادس من كانون الثاني . وهو اليوم الموافق للتقويم القديم ويسمونه عيد الظهور

لم تتفق المسيحية الناشئة مع نظام الحكومة الرومانية الذي كان يرمى الى التشدد في تقديس  
الامبراطور واكباره الدينى . حتى أصبح أشبه بآله يعبد وتقدم له القرابين كما هو الحال مع الآلهة  
فكان تعصب المصريين للمسيحية شديدا لذلك لى الرومانيون في سبيل تأليه امبراطرتهم على الرغم  
من مجهوداتهم الكبيرة ، مقاومة عنيفة وعنادا كبيرا وصلا الى حد الجنون ، فأعزب المسيحيون  
خارجين عن الدولة والدين الرسمى فلم يك بد من الضرب على أيديهم ابتغاء رجوعهم الى الوثنية  
وردهم الى الطاعة والخضوع للقوانين العامة ، فأمر ف بمض الامبراطرة في قتل المسيحيين وتعذيبهم  
إسرافا شديدا . جر عليهم المسخف والكرهية وخصوصا دقلديانوس فقد كثر عدد من قتلوا في عهده  
وتناول الاضطهاد جميع الطبقات وقد أصدر سنة ٣٠٣ م مذكورا امبراطوريا يأمر فيه بهدم الكنائس  
وازالتهام من الوجود واحراق الكتب المقدسة وفصل الموظفين المسيحيين من خدمة الدولة  
وحرمانهم من حقوقهم الوطنية واعتبار جميع المسيحيين عبيدا ارقاء . ففكره المصريون  
دقلديانوس ، وحنقوا عليه . ورأوا فيه مثالا للظلم والاستبداد وصاروا يؤرخون حوادثهم من سنة  
اعتلائه العرش « ٢٨٤ م »

دفع هذا الاضطهاد المصريين منذ أواسط القرن الثاني الى اعتناق الرهبنة . هذا وقد استمالت  
ايضا طبيعة صحراء مصر من يرغبون في الابتعاد عن العالم . فنشأت الأديرة . وكان أهم هذه  
الأديرة بمنطقة وادي النظرون . ويعتبر أنابولا أول النساك وأبا الرهبنة المسيحية في مصر .  
الا ان أقدم الأديرة قد شيده الأنبا أنطونيوس الذى تولى سنة ٣٦١ م . وكان لدير القديس مقار  
المتوفى سنة ٣٩٤ م . وغيره من أديرة وادي النظرون شأن عظيم . وكان دير طيبا أهم أديرة الصعيد  
وكان الكهنة يعيشون فيه كما يعيش قدماء المصريين . وكانت به كنيسة على الطراز المصرى القديم  
ويبلغ عدد الرهبان في القرن الخامس نحو خمسة الاف وكان أشهرهم أبنا باخوميوس « ٣٤٨ م »  
وأبنا شنوده « ٤٥١ م »

بدأت الرهبنة مع بولا وأنطونيوس بالوحدة والانفراد ثم تدرجت مع مقار إلى شىء من  
الاجتماع والاشترك وانتهت بالمعيشة في جماعات منظمة مع باخوميوس وشنوده . وذلك لأن عدد  
الرهبان بدأ صغيرا ثم أخذ في الزيادة حتى أصبحت الأديرة لا تقتصر على الصلاة والعبادة . بل كانت  
بها دور واسعة للعلم والأدب والفلسفة . وفيها مدارس زاهرة للفنانات والفنون ولوعلى قلة . وكان  
الرهبان تلامذتها الداخليين وأبناء العائلات المقيمون بالبلاد المجاورة تلامذتها الخارجيين . وكان كثير  
من الرهبان بدير أبى مقار يشتغلون بالمعارف والآداب ومهمتهم التأليف والتصنيف ونسخ الكتب .  
أما في أديرة باخوميوس وأبنا شنوده فكان يتلقى الافراد بمدارسها أصول القراءة والكتابة . ولم

يمكن التعليم مقصورا على الذكور بل كان يتناول الأناث أيضا  
ولما اعتنقت الديانة المسيحية اعترفت بالرهينة في مصر وسمحت للرهبان بامتلاك العقارات والاراضي  
ومنحتهم حق الأثر فأخذ يتسع نطاق الرهينة وتقوي شوكتها . وساعد على ذلك إعفاء الرهبان  
من الضرائب والسخرة . وكثيرا ما قاوموا الحكومة وبنى بعضهم صوامعهم على شكل قلاع ليذافعو  
عن أنفسهم ضد غزوات القبائل عندما تكون الحكومة ضعيفة

وأخيرا أصاب الرهينة ما أصاب كل شيء في مصر فقد أدى توالي الاضطهادات الى الفوضى والتأخر  
الاقتصادي فانحطت جميع مظاهر النشاط في مصر وأخذت تبتعد عن أزمته العلم وتسير نحو غياهب  
الجهل فأصبحت الرهبانية تبنى نشأت في أول الامر لصالح الدين تقليدا أعمى لرهبان قدماء المصريين  
وصار الرهبان يستعملون الرقي ويفرطون في الصوم للتفاخر به ولا يفتسلون وأصبحوا في تأخر شديد  
مقيدين بقانون الرهينة المطول . وأخذت المسيحية نفسها تبتعد عن غرضها الأصلي فقد كثر  
القديسون . وأصبحت الكنيسة هي الوسط بين الفرد وبين الله . وأصبح لله شخصية منعزلة .  
لا يستطيع الانسان أن يتصل بها مباشرة

تركنا المسيحية مضطهدة في عهد دقلديانوس . وقد ظل هذا الاضطهاد مستمرا حتى جاء قسطنطين  
« ٣١٣ — ٣٣٧ م » وكان المسيحيون في أيامه أكثر عددا من الوثنيين ، فاعتنق قسطنطين  
المسيحية سنة اعتلائه العرش فأصبحت المسيحية منذ ذلك العهد ، وهي دين الكثرة ، الدين  
الرسمي للإمبراطورية

ولما جاء تيودسيوس ( ٣٧٩ — ٣٩٥ ) حارب الوثنية محاربة شديدة وفي عهده أصبحت  
الاسكندرية مركزاً عظيماً لهذا الدين ، فعهد إلى بطريكتها تيوفيل محاربة وثنية الاسكندرية فأخذ  
هذا يرغم الناس على اعتناق المسيحية ولم يكتف بذلك ، بل أخذ يهدم المعابد والآثار والتماثيل . ثم  
قصد المسيحيون إلى السيرايوم وعند ما التجأ إليه بعض من الفلاسفة والنحويين والشعراء فراراً من  
بطش النصارى ، أخذوا يكسرون مذابح آلهة المصريين بعد أن أخرجوا ما كان فيه من الكهنة  
والعلماء ، ولما تم لهم الاستيلاء عليه حولوه إلى كنيسة سموها الأركاديوم ، وسلبوا ما كان على  
تمثال سيرايس من الخلى والزينة ، وهشموه ورموا أجزاءه في الطرق ، ثم حولوا كثيرا من المعابد  
إلى كنائس فغيروا وضع أبنيتها وقلبوا شكلها لتلائم الدين الجديد . واستمروا يضطهدون اتباع  
العقيدة القديمة حتى اضطر زعماء الفلاسفة إلى الانسحاب من الاسكندرية ، وأخير أحرقوا هيئاتها  
« ٤١٥ » فيلسوفة الاسكندرية المشهورة

لقد فعلت يد الدين الجديد في معابد دامت على الأرض آلاف السنين ما لم تفعل بها عادات  
الحروب والاضغاث ، فلم يبق منها إلا ما عجزت يد المتعمدين الجدد عن هدمه ، على أنهم منحوا من

تلك المعابد الباقية صور الأكمة الأقدمين ، فلما رجع المسيحيون إلى رشد لم يذكروا مؤرخوهم  
هذا العمل البربري ، ولكنه ظل رغم ذلك نقطة حاسمة في تاريخهم

كان الناس يعتقدون أن كنيسة روما أسسها الرسول بطرس ، ولذلك اعتبرت أولى الكنائس  
في الغرب ، إذ ليس من بينها من تستطيع أن تفاخر بأن مؤسسها رسول . وساعد على ذلك أن  
روما كانت سيدة العالم وعاصمة الإمبراطورية فاعتبر أسقفها أول الأساقفة

إلا أن الكنيسة ظلت تحت حكم الإمبراطورية الرومانية . فلما أخذ البرابرة يغزون الأقاليم  
الرومانية في أواخر القرن الرابع . وفي أثناء القرن الخامس بعد الميلاد . أخذت الحكومة الرومانية  
تضعف شيئاً فشيئاً . وأخذت الكنيسة في نفس الوقت تتخلص تدريجياً من تدخل الحكومة  
في شؤونها ورقابتها عليها

ولما صار ليون الأكبر ( ٤٤٠ — ٤٦١ ) أسقف روما وكان رجلاً عالى الهمة . شجاعاً . كبير  
الآمال والاطمئاع . وضع أساساً لقوة البابوية . بأن حث فالنتينان الثالث إمبراطور الغرب أن  
يصدر سنة ٤٤٥ منشوراً يعلن فيه أن أسقف روما فائق على جميع أساقفة الغرب . وأنه يعتبر المرجع  
الأعلى لهم جميعاً . وحتم على الأساقفة اتباع أسقف روما في كل ما يقرره وهدد كل من يخالف  
ذلك ببطش الحكومة وقوتها . وتعتبر مساعي ليون الخطوة الأولى في تفوق البابا في غرب أوروبا .  
فلما سقطت الإمبراطورية الغربية ( ٤٧٦ ) أصبح أسقف روما بطبيعة الحال الوارث الإمبراطورية  
واعتبره الجميع زعيماً وممثلاً لهم أمام قواد البرابرة . وأخذ الأسقف يباشر بعض أعمال الحكومة  
وفي منتصف القرن الخامس قام نضال وصراع بين المسيحية وبين العقليات الشرقية  
والغربية . فكان الخلاف على طبيعة المسيح مبدأ مناقشات تناولتها الشيع الكنسية في القرون  
الأولى . وكان لاختلاف المذاهب في تلك المسألة أكبر الأثر في النظر في المعقولات . وفي  
التأمل الفلسفي

انقسمت النصرانية إلى عدة طوائف أشهرها اليقوية والمكانية إذ كان اليعاقبة يرون أن المسيح  
هو الله . وأن الله والإنسان اتحدوا في طبيعة واحدة هي المسيح . وقال الملاكانيون : إن للمسيح  
طبيعتين متميزتين . الطبيعة اللاهوتية والطبيعة الناسوتية . ولم يقتصر الخلاف بين النصراني على  
العقيدة في الله . بل اختلفوا في مسائل أخرى كثيرة . هل ينزل المسيح قبل يوم القيامة . أو لا ينزل؟  
وهل الحشر يكون للأرواح والابدان أو للأرواح فقط؟ وهل صفات الله زائدة عن ذات الله .  
أو هي هي؟ وقد لجأت النصرانية إلى الفلسفة الاغريقية لتستعين بها على الجدل . ولتؤيد  
تعاليمها وعقائدها

كان من نتائج تعدد الشيع الكنسية اتفاق البابا مع الامبراطور صرقيانوس « ٤٥٠ — ٤٥٧ » على عقد مجمع عام في خلقيدونية « ٤٥١ » وكانت نتيجة هذا المجمع اخراج المعتقدين الطبيعية الواحدة في المسيح من الكنيسة ، وكانت الكنيسة المصرية تتبع القائلين بالطبيعة الواحدة ، فلما انصاع امبراطور بيزنطة الى اوامر المجمع الخلقيدوني ، ارادوا أن يلزموا المصريين بالأخذ بالمعتقد الذي قرره ذلك المجمع ، فعزلوا ديوسقوروس بطريق الاسكندرية وأنفذوا دكانه أسقفنا أرثوذكسيا وأخذوا يضطهدون كل من أتباع رأيهم . ولكن المصريين ثبتوا على أفكارهم ، ولم يزدوا الاضطهاد إلا رسوخا في ايمانهم فاشتد بذلك الخصام بين الفريقين ، وشرع موظفو الحكومة وجنودها يسيئون معاملة اليعاقبة لا سيما المعارضين منهم في تغيير الاساقفة اليعاقبة بأساقفة ملكانيين سواهم

كان من جراء الاضطهادات الدينية التي ابتدأت منذ أواسط القرن الخامس التساع حركة الرهبنة إلا أنها كانت غير مستقرة حتى ظهر القديس بندكت « ٤٨٠ — ٥٤٣ » ووضع للأديرة نظاما خاصا مكنها من أن تقوم بدور جدي في تاريخ أوروبا . وفي أواخر القرن السادس ولي غريغوري أسقفنا روما « ٥٩٠ — ٦٠٤ » فكان أول من رفع منار البابوية بعد أن كانت مجرد أسقفية ، وذلك لما كان له من اليد الطولى في ارسال القسيسين والرهبان لبشروا بالدين بين الوثنيين واعادة المسيحية في جنوب إنجلترا بعد أن محاهها السكسون الوثنيون

ومنذ ذلك الوقت زادت قوة الكنيسة وثروتها واتسعت أملاكها وزادت العناية بترتيب الطقوس الدينية والموسيقى والصلوات في الكنيسة ، وبهذه الوسيلة اجتذبت الكنيسة غيرالمسيحيين اجتذابا لم يكن لها من قبل

وفي صدر عام ٦٣١ م أراد هرقل أن يجمع مذاهب الدولة المختلفة ويوحدها خصوصا التوفيق بين اليعاقبة والملكانيين ، فاحتدم الامبراطور في هيرابولس ، ببولص ، مطران أرمينيا وفيرس مطران فاسيس وأثناسيوس مطران أنطاكية ، فكانت نتيجة مناظرتهم أن اقرروا التوفيق بين المذاهب المختلفة ، وكان ذلك التوفيق يقضى بان يمتنع الناس عن الخوض في الكلام عن كنه طبيعة المسيح ، وعمما إذا كانت له صفة واحدة أم صفتان ، ولكن عليهم أن يشهدوا ان له ارادة واحدة او فضاء واحدا

ثم أعقب هذا الوفاق ولاية فيرس بطرقة الدين في الاسكندرية و فهرب بنيامين بطريق القبط ، والظاهر ان مجيئه شرد قسيسيهم ، فقد كان فيرس بطريقا وواليا على حكومة مصر من قبل الدولة الرومانية وجامعا سلطتي الدنيا والدين ، فاما قدم تظاهر بأنه انما جاء مسالما . وجعل يبين للناس كنه المذهب الجديد ( المونوفيلي ) وهو المذهب الذي كان الامبراطور يطمع أن يزيل به ما أحدثه

يجمع خلقيدونية من الشقاق بين الناس فكان عليه ان يستميل إلى المذهب الجديد أقباط مصر أولاً واتباع المذهب الملكاني ثانياً . ولكن الظاهر ان مذهبه لم يلق منذ أول الأمر توفيقاً ، فقد أساء هو بيانه و ايضاحه ، وأساء الناس فهمه وتلقوه لقاء سيئاً ، فأما اتباع المذهب الملكاني فقد رأى كثير منهم أن المذهب الجديد نقض تام للمذهب خلقيدونية ، فان من سمع منهم بالبدعة الجديدة قال ان المذهب الجديد ما دام قد سلم بأن الله له ارادة واحدة وفعل واحد فانه لا بد أن يسلم بان له كذلك طبيعة واحدة ، وعلى ذلك فان فيرس إنما جاء في الحقيقة مسالماً بالمذهب المنوفيسي ، فاحقق فيرس في سعيه لأنه كان يود أن يحمل القبط على المذهب الذي تقرر مهما تكلف في سبيل ذلك . فلم يعبأ بعد بما أدخله الامبراطور على المذهب من التهذيب . بل كان يعرض على الناس أحد أمرين لا تقصبر فيهما وهما قبول الدخول في الجماعة أو الاضطهاد فدخل في مذهبه من لم يستطع الهجرة أو الهرب . ولجأ الى التقية وأظهر غير ما يبطن

وفي أوائل القرن الثامن وصل الاسلام في فتوحاته الى جبال البيرية غرباً والقسطنطينية شرقاً . فأصبحت أوروبا محصورة وأصبح البحر المتوسط بحيرة اسلامية وضاعت السلطة التي كانت تربط العالم المسيحي بالامبراطورية فلم ينتصف القرن الثامن حتى زال آخر مظهر من مظاهر السلطة الادارية للقسطنطينية بايطاليا . ولما تولى بوبين عرش الفرنجة عام ٧٥٤ كان ذلك بدء ظهور قوة البابوية واهمال واجب الرعوية للقسطنطينية والواقع أن المناطق التي لم يمتلكها الاسلام شطرها فأصبح الانشقاق عن الامبراطورية حقيقة تامة وأصبح انشقاق الكنيسة أمراً متوقعاً . واستحوذ الاسلام على أهم مراكز المسيحية في الشرق خصوصاً الكنائس التي أسسها الرسل وهي بيت المقدس واسكندرية وأنطاكية ، ولم يعد ينافس روما إلا القسطنطينية ولكن أسقف الأخيرة بقي تحت سلطة الامبراطور بينما كان أسقف روما بعيداً عنه ومستقلاً عن نفوذه

كان تأثير قرب الاسلام من الدولة الرومانية الشرقية أن أدى إلى لزوم الاصلاح باخراج الصور والتماثيل المقدسة من الكنائس ، والامتناع عن عبادة العذراء ، ووجوب تزوج القسيسين ، وانضم الامبراطور ليون الثالث إلى هذه الحركة فأثار سخط الكنائس الغربية وأعلن مجاس روما سنة ٧٣٢ ان تحطيم هذه الصور زيغ ، وأصدر البابا قرار الحرمان ضد ليون ، واتسعت مسافة الخلاف بين كنيسة روما وكنيسة القسطنطينية وزادت قوة روما باعتمادها على تلك الدولة القوية ( دولة الفرنجة )

لما ساد نظام الاقطاع في أوروبا في أثناء القرن العاشر انحط شأن البابوية وأصبح مركزها موضع نزاع الاحزاب في روما . واعتلى عرشها أناس لا خلاق لهم كانوا سبباً في تشويه سمعتها الدينية فسقطت أهميتها في نظر المسيحيين

كان الاساقفة ورؤساء الاديرة تابعين للمارك أو للأشرف حسب نظام الاقطاع فكان للملك أو للشريف حق تقليد الاسقف البينيد أو رئيس الدير وظيفته ، ومنحه الاراضي الواسعة بعد أن يقسم له عيّن الطاعة والولاء ، ويتسلم منه شارات الوظيفة . ومن ثم أصبحت الوظائف الدينية مرغوبا فيها بسبب الارض الواسعة التي كانت تابعة لها فاستغل الامراء هذه الرغبة وأخذوا يبيعون الوظائف الدينية ، ثم اتبع الاساقفة وبقية رجال الكنيسة هذه الطريقة ، وصاروا يبيعون الوظائف لمن هم أقل منهم فانحطت الوظائف الدينية في نظر الناس

واستمر انحطاط الكنيسة والبابوية حتى جاء الامبراطور هنري الثالث فاهتم بالوظائف الدينية وعين بها رجالا ذوي كفاءة ومقدرة ، وعند ذلك بدأ البابوات يشعرون بقوتهم ويعملون على اصلاح المساويء حتى يمدوا عهد البابوية الاولى ، وتمتع الكنيسة باستقلالها وترغم الملوك والامراء على طاعتها . وعلى ذلك بدأ في القرن الحادي عشر دور كفاح بين السلطين الزمنية والدينية ، ولم ينته هذا القرن حتى انتصرت البابوية على الامبراطور وابتدأ البابا يفكر في السيطرة على جميع العالم المسيحي باخضاع الكنيسة الشرقية واخراج المسلمين من بيت المقدس . فكان ذلك بدأ الحروب الصليبية ( ١٠٩٧ ) التي انتهت باحتلال بيت المقدس ، إلا ان السلاجقة أخذوا يوحّدون قواهم فلم ينتصف القرن الثاني عشر حتى استرجعوا ما أخذه الصليبيون وظلوا في نضالهم فلما انتهت هذه الحروب الا في أواخر القرن الثالث عشر

لم ينته القرن الثالث عشر حتى كان الملوك قد نجحوا في تكوين حكومات قوية ، وفي اخضاع الأشرف والمدن ، وفي القضاء على نظم الاقطاع تدريجيا ، وأخذوا ينكرون على السلطة الدينية تدخلها في شؤونهم الداخلية والسياسية ولم يقبلوا أوامر البابا أو يكثرثوا بتهديداته ، كما كانوا يفعلون سابقا بل أخذوا يفرضون الضرائب على ممتلكات رجال الدين ويستولون عليها . وفي أواسط القرن الرابع عشر أعلن ويكلف بالانجلترا ( ١٣٢٠ - ١٣٨٤ ) حق السلطة الزمنية في ممتلكات الكنيسة اذا أساءت الكنيسة ادارة هذه الممتلكات ، وأعلن أنه ليس للبابا قدرة إلا في حدود الكتب المقدسة وأخذ يطعن في البابوية وادعائها ونظمها ، والأساليب التي كانت متبعة في ذلك الوقت . ومرعان ما انتشرت آراؤه في أوروبا وخصوصا في بوهيميا حيث كانت الصلات بينها وبين انجلترا ودية . فقام يوحنا هوس من جامعة براغ ونشر آراء ويكلف وأعلن أنه لا يحق للانسان أن يطيع أوامر اناس منقلين بالذنوب والخطايا . ومن ثم اشتد انتقاد الكنيسة والبابوية . فخشيت السلطة الدينية والسلطة السياسية انتشار هذه الأفكار فاقترحت جامعة باريس أن يعقد مجلس ديني عام تكون سلطته وارادته فوق ارادة البابا ويترك لهذا المجلس علاج الحال . فاقدم أول مجلس

في فيزا (١٤٠٩) وثاني مجلس في كنستانس (١٤١٤) وكانت أهم أعماله مهاجمة دوس فقير دينونته وحكم عليه بالخرق فلم يكن لذلك من نتيجة سوى تقوية حركة المعارضة ظل الفساد الذي أصاب رجال الدين والكنيسة يتضاعف حتى نشأت مسألة بيع صكوك الغفران . فكان يمنح الغفران مقابل الاعتراف والتوبة والجزاء بالصيام أو الحج أو الزكاة ولكن قرر البابليون العاشر عام ١٥١٥ بيع صكوك الغفران للناس عامة عن كافة الآثام التي ارتكبها الأحياء والأموات وعهد إلى نفر من أعوانه بنشر الدعوة وجمع المال بطريق المصارف حتى انتقل الغفران إلى عملية تجارية بعيدة عن تقاليد الكنيسة وعقائد الدين . وظهر في ذلك الوقت المصلح العظيم مارتين لوثر (١٤٨٣ - ١٥٤٠) فعلق على كنيسة وتبرج (١٥١٧) احتجاجا على بيع الصكوك خاصة ومبدأ الغفران عامة فتجاوبت أنحاء ألمانيا بصدى هذا الاحتجاج وانضمت إليه الآلاف من الأشياع والأنصار . فأوفد البابا رساله إلى لوثر ليناقشوه في دعواه استنادا على السلطة البابوية المستمدة من تقاليد العهود الطويلة . فأنكر لوثر عقيدة الكنيسة وسلطتها العليا . وأعلن أن الكتاب المقدس وحده قانون العقائد ومصدر الدين

انتقل بعد ذلك من بحث مسألة الغفران إلى البحث العقائدي على اطلاقها لوضع أساس عقيدته الدينية وعقيدته السياسية التي تضمنت علاقة الكنيسة بالحكومة في كتابه المعروف باسم « رسائل الإصلاح »

وفي عام ١٥٢١ حوكم لوثر في ورمن أمام مجلس الامبراطور فسكان ثابت العقيدة في مبدأ واحد يميزه عن كل معاصريه وهو اعتبار البابا عدوا للمسيح وسلطته هادمة لقواعد المسيحية لحكم عليه بالحرمان من الحقوق المدنية كما حرم من الحقوق الدينية من قبل عكف لوثر بعد ذلك على ترجمة الانجيل من اللغة الاغريقية لأول مرة ترجمة تمتاز ببساطة العبارة وقوة الاسلوب بحيث كانت هذه الترجمة أكبر دعوة وجهت إلى الجماهير، ونقلت موضوعات البحث والمناقشة من الخاصة إلى العامة

ظل البروتستانت اتباع لوثر في صراع مع الكاثوليك فاقترنت الكنيسة البروتستانتية على الانتشار في ألمانيا واسكندناوة ، لان خضوعها بحكم تعاليم لوثر للسلطة الزمنية جعلها عاجزة بطبيعتها عن الانتشار بمجهودها الذاتي في البلاد التي تلتقي فيها معارضة من السلطات الحاكمة . لذلك انتشرت دعوة الإصلاح في أوروبا في صور أخرى لا تخالف الدعوة اللوثرية كثيرا في عقائدها وانما تخالفها في نظام الحكم في كنائسها

وقد ظهرت أول دعوة للإصلاح البروتستانتي خارج ألمانيا في مدن سويسرا وكان الفاشم بها

زونجبل (٢٤٨٤ - ١٥٣١) . بدأ دعوته في زورخ وجعل أساسها نقد صكوك الغفران والاعتماد على الكتاب المقدس وحده ، كما فعل لوثر ولكنه خالفه في تفسير العقائد ، وفيما يجب أن يكون عليه نظام الحكم في الكنيسة على أن كنيسة زونجبل لم تصادف نجاحا إلا في موطنها وفيما يليها من الولايات الألمانية الجنوبية أما في باقي أنحاء أوروبا فقد تطرق الإصلاح بواسطة كالنن « ١٤٠٩ - ١٥٦٤ » الذي نشأ بفرنسا وكان من المتأثرين بدعوة الإصلاح فلاقى ما لاقاه غيره من الاضطهاد ، ففر الى استراسبورج حيث وضع رسالة في أصول الدين المسيحي ضمنها تعاليمه ومعتقداته . وهي تتضمن الاعتماد على الكتاب المقدس وحده ، شأنه في ذلك شأن لوثر

أخذ الكاثوليك يقاومون البروتستانت ، فعمدوا الى كثير من الوسائل لمقاومة المذهب الجديد ومن ذلك محاكم التفتيش وطوائف اليسوعيين ( الجزويت ) ومجلس ترنت الكنسي ( ١٥٤٥ - ١٥٦٣ ) فأدت هذه الوسائل الى صراع ديني خطير طول القرن السادس عشر ، انتهى كما بدأ بشطر أوروبا شطرين ، الكاثوليك والبروتستانت الا أن انجلترا دون ممالك أوروبا ظلت منقسمة ازاء الإصلاح الديني الى فريقين متساويين تقريبا ، فاضطربت شؤون البلاد سنوات طويلة ولكن هذه المشكلة الدينية حسمت في نهاية الامر في عهد الملكة الزابيت باتخاذ موقف وسط بين الفريقين المتنازعين ، وذلك باعادة كافة المظاهر الخارجية للكنيسة الكاثوليكية ، أما العقائد الدينية فقد حوت تحويلا يتفق ومذهب كالنن ، فنشأت من ثم كنيسة خاصة بالانجلترا أطلق عليها اسم « الكنيسة الانجليكانية »

